

التداخل والتخارج بين البلاغة والحجاج من منظور العمري

Overlap and exit between rhetoric and pilgrims from the perspective of Al.Omari

1 واليد نوال *

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، (الجزائر)، oualidnawel2@gmail.com

2 أ.د فريحي مليكة

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، (الجزائر)، frihi-malika@yahoo.fr

تاريخ الارسال 2022/11/25 تاريخ القبول 2022/12/22 تاريخ النشر 2022/12/28

ملخص:

اتفق البلاغيون عرباً وغرباً بأنّ العبارة المشهورة (ليس كلّ من أفهمك حاجته فهو بليغ) عبارة صحيحة، ولكن لا يمكن أن تعكس مفهوم البلاغة لديهما. يتفقان أيضاً بأنّ البلاغة فن رفيع لا يتأتى بالقراءة والحفظ والاستدكار، وأنّ البلاغة فن يعبر عن الفكر البشري، ويعكس قدرة الإنسان على التعبير المؤثر (المقنع) مستخدماً كلّ الطرق التي تؤهل المتكلم للوصول للقارئ أو السامع إلى التأثير والاستمتاع والاقتناع. يتفق العربي والغربي على أنّ غاية البلاغة لا تتحقق بمسلك واحد، بل تتطلب قدرات خاصة، يمكن للقارئ أو السامع أن يكتسبها، ولما كثر الخلاف والعنف والإرهاب والتطرف، أصبحنا بحاجة ماسة إلى وسيلة تسلك بنا سبيل العقل والمنطق والتسامح والحوار البناء والجدال الحسن. ومن هنا، أصبح الحجاج أداة لمناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها ومصادقيتها.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، النقد، الخطاب، الشعر، الحجاج

Abstract: The Arabs and the West agreed that the famous phrase (not everyone whose needs I understand eloquently) was correct and could not reflect their rhetoric. They also agree that rhetoric is a fine art that does not come from reading, recalling and recalling. It reflects the ability of a human being to express his or her (persuasive) influence by using all the ways in which the speaker has access to the reader or listener to move, enjoy and convince him or her. Arabs and Westerners agree that the purpose of rhetoric is not to be achieved in the same way, but rather to require special abilities that the reader or listener can acquire. Pilgrims have thus become an instrument for discussing ideas, whatever their nature and credibility.

Keywords: Rhetoric, criticism, speech, poetry, pilgrims

1. مقدمة:

يعدّ الحجاج آلية مهمة في محاورة الأطراف المشاركة في عملية التواصل، والغرض من كل ذلك هو التأثير أو الإقناع أو الحوار، أو مناقشة الآراء المطروحة بالتشكيك في صحتها أو معارضتها أو تأييدها أو تشبيتها، وقد حاولنا في مقالنا هذا إمالة اللثام عن الحجاج، وإبراز أبعاده في البلاغة المعاصرة، معتمدين على الدراسات التي أجراها محمد العمري لبلاغة الحجاج، لما يملكه هذا الأخير - محمد العمري - من حس نقدي عالي في قراءة التراث العربي القديم والمنجزات البلاغية الحديثة والمعاصرة في هذا المجال، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

ما الحجاج؟ وما البلاغة الجديدة؟ وما العلاقة القائمة بين الحجاج والبلاغة الجديدة من منظور محمد العمري؟

2. ماهية الحجاج:

لقد ورد لفظ الحجاج في القرآن الكريم في مواطن متعددة منها: قوله الله تعالى:

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

الآية 66 من سورة آل عمران.

ومنها قوله عز وجل: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾. الآية 80 من سورة الانعام

ومنها قوله جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الآية 16 من سورة الشورى.

وكذلك في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ الآية 47 من سورة غافر.

ويذكر ابن منظور في كتابه لسان العرب: الحجة: البرهان؛ وقيل: الحجة ما دُفِعَ به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل مُحَجَّجٌ أي جدل. والتَّحَاجُّ: التَّخَاصُّمُ؛ وجمع الحجة: حُجَجٌ وَحِجَاجٌ. وحاجته مُحَاجَّةٌ وَحِجَاجٌ؛ نازعه الحجة. وحجته يُحَجِّجُهُ حَجًّا: غلبه على حجته. وفي الحديث: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى أَي غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ. وَاحْتَجَّ وَبِالشَّيْءِ اتَّخَذَهُ حُجَّةً؛ قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأن القصد لها وإليها؛ وكذلك حجة الطريق هي المقصد والمسلوك. وفي حديث الدجال: إِنْ يُخْرِجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِجُهُ أَي مُحَاجُّهُ وَمُغَالِبُهُ بِإِظْهَارِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ. والحجة: الدليل والبرهان. يقال: حَاجَجْتُهُ فَأَنَا مُحَاجٌّ وَحَاجِجٌ، فَعِيل بمعنى فاعل. ومنه حديث معاوية: فَجَعَلْتُ أَحُجَّ خَصْمِي أَي أَغْلِبُهُ بِالْحُجَّةِ.¹

وإن الحديث عن الحجاج في اللغة يقتضي منا التوقف عند مؤلفات ديكر و لاسيما كتابه الحجاج في اللغة، الذي شاركه في تأليفه جان كلود انسكمبر، وقد بين ديكر و انسكمبر أنّ الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط

على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر، أي أنّ المتكلم إنما يجعل قولاً ما حجة لقول آخر هو بلغة الحجاج نتيجة يروم إقناع المتلقي بها وذلك على نحو صريح واضح أو بشكل ضمني، بمعنى آخر إنّ المتكلم قد يصرح بالنتيجة وقد يخفيها فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية بل على بينتها اللغوية فحسب².

والغرض من الحجاج - كما هو معروف - هو الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب. ومن ثم فالحجاج فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعالة، تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قواسم حجاجية مشتركة³.

ولعلّ من أهم التعاريف الحديثة للحجاج ما ورد في كتاب "مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة" وهو عمل مشترك بين بيرلمان وتيتيكاه. جعلاه "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع، معتبرا أن غاية الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل"⁴.

وفي كتاب "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات" يتحدث المؤلفان عن الغاية التي تسمى من الحجاج فيقولان: "غاية كلّ حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنبجح الحجاج ما وُفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازها أو الإمساك عنه)، أو هو ما وُفق على الأقل في جعل السامعين مهّئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"⁵.

وإن أهم غاية يرمي إليها الكتاب هي إخراج الحجاج الذي هو عند المؤلفين سليل الخطابة والجدل معا، من دائرة الخطابة والجدل الذي ظل لفترات طويلة في القدم مرادفا للمنطق نفسه، فالباحثان عملا على تخليص الحجاج من التهمة اللائطة بأصل نسبه وهو الخطابة، وهذه التهمة هي المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضا، وعملا من ناحية ثانية على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب⁶.

ولا يعتمد الحجاج عند بيرلمان على العنف أو التضليل أو التوهيم، بل غرضه هو بناء الحقيقة عن طريق الحوار البناء والاستدلال الذي قد يكون ذهنيا وهوويا انفعاليا⁷.

وفي شأن هذا الكتاب يقول محمد العمري: "غير أنه برغم استلهاام بيرلمان للخطابية الأرسطية فقد أجرى عليها التعديلات الضرورية حسب ما يتطلبه التوجه المنطقي الذي يشتغل في إطاره. فمن الجوانب التي تتضمن توسيعا وتضييقا في الوقت نفسه المتن (أو المدونة)، حيث يتم إهمال خصوصيات الخطاب الشفوي واستيعاب الخطاب المكتوب اقتصارا على الحجج المقنعة فيهما معا الموصلة إلى الإذعان. ويكمن وراء هذا الاجراء عدم إيلاء أهمية كبيرة للمحافل الخطابية في مقابل الامتداد إلى المحاجة الخاصة، مع شخص واحد أو حتى مع الذات. وبهذا التوجه تقترب نظرية الحجاج الحديثة من مبحث الجدل أكثر من قربها من مبحث البلاغة ببعديها الشعري والتداولي"⁸.

ولم يهتم العمري بمناقشة نظرية الحجاج في جوهرها، وإنما اهتم بامتدادها التأويلي اذ يقول: " الذي يهمني هو امتدادها التأويلي في توجيه التراث البلاغي لصياغة نظرية ذات عمق حوارى فلسفى، نظرية قرئت على نطاق واسع وأثرت في المسار البلاغى أعمق الأثر ⁹ .

3. ماهية البلاغة الجديدة:

البلاغة الجديدة في العصر الحديث "بلاغات" كما يقول روبول. ¹⁰

والمقصود بالبلاغة الجديدة تلك البلاغة الحجاجية التي تتعارض مع بلاغة الصور الفنية والمحسنات البديعية. ويمكن اعتبارها أيضا بلاغة أرسطية جديدة ، مادام بيرلمان وتيتيكا قد اشتغلا على القضايا الحجاجية نفسها ، لكن في ضوء رؤية جديدة ¹¹ .

والقول جديدة يقتضي وجود بلاغة قديمة وهذه البلاغة القديمة هي بلاغة أرسطو (أو خطابة أرسطو) من ناحية، والبلاغة الأوروبية السائدة في القرن التاسع عشر وما قبله من ناحية أخرى ¹² .

ومن المفارقات التي قد تثير المتتبع لحركة تحديد البلاغة وتشميلها، العودة إلى خطابية أرسطو (أي الريطوريك) لتكون عنواناً للبلاغة العامة، والحال أن أرسطو هو أول من شطر علم الخطاب الإنشائي إلى شعرية وخطابية (أو بوتييك وريطوريك). وفي سياق الفصل بين الخطابية والشعرية فحص بول ريكور بعمق عناصر الالتقاء و عناصر الافتراق بين الشعرية والخطابية، في مقال مركز تحت عنوان: الخطابية، الشعرية، التأويلية. وعليه فليس من الممكن، في نظره - بول ريكور - قيام علم يستوعب الشعرية والخطابية (بل والتأويلية أيضا). فالملائم إذن هو أن "تحدث كل واحدة باسمها الخاص؛ فتختص الخطابية بفن الحجاج الهادف لإقناع المستمع بكون رأي ما مقدما على منازعه، وتختص الشعرية بفن بناء الحُبك مستهدفة توسيع الخيال الفردي والجماعي.." ¹³ .

عادت البلاغة القديمة محاورا جدليا في بناء بلاغة جديدة وحديثة لعدة أسباب ¹⁴ .

لقد صار استحضار البلاغة القديمة حجة على نجاعة المنهج وملائمته لموضوعه، ومن هنا وجدنا الحديث (بل الاعتزاز بوراثه البلاغة القديمة وتمثيلها، فتورودوف (وديكرو بالتضامن) يرى أن الاسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة، ويصرح بيرلمان ومن معه بأن الوجهة الصحيحة لحجاج فعال وناجع في البيئة الديمقراطية الحديثة هي وجهة بلاغة أرسطو، كما يصرح رائد علم النص فإن ديك، أن علم النص هو الممثل العصري للبلاغة، وتجاوز كوهن فتوى المشروع فوضع يده على الميراث البلاغى مباشرة فسجله وحفظه تحت اسم اللغة الشعرية في كتابه: بنية اللغة الشعرية ¹⁵ . ويذهب العمري إلى أن مجموعة بلييج وبيرلمان وتودوروف . علاوة على رولان بارث وجيرار جينيت، وكونتر، وكبدي فاركا - لقد استطاع هؤلاء الباحثون وباحثون آخرون كثيرون، في بلاد أخرى أن يجعلوا من البلاغة مبحثا علميا عصريا. ¹⁶

وفي حوار بين متطلبات البحث العلمي الحديث ومعطيات التراث البلاغى القديم تبلورت في البلاغة الحديثة ثلاثة تيارات كبرى:

■ تيار شعري بديعي: يهتم بالصور البديعية، وبرغم استناد هذا التيار إلى الشعرية اللسانية البنيوية التي تفرعت من جهود الشكلايين، وانتقلت إلى يد منظرين كبار، مثل باكويسون، إلى التداول العالمي، فإنها تعتبر في نظر الطامحين إلى بلاغة عامة للخطاب، كل خطاب، مجرد بلاغة مختزلة، وقد تحدث جيار جنيت عن هذا المسار الانحساري في مقال مشهور بعنوان "البلاغة المختزلة"¹⁷. وتساءل بارت: كيف يأتي المعنى إلى الصورة؟ أين ينتهي؟ وإذا كان ينتهي فماذا يوجد وراءه؟¹⁸

■ تيار خطابي منطقي: يهتم بالحجج وسبل الاقناع، وهو تيار يعلن ارتباطه بخطابية أرسطو وبناءه عليها. ويصدق على هذا التيار ما قيل في التيار الأول فقد اختزل، هو الآخر في بعدها التداولي الحجاجي.¹⁹

■ تيار خطابي: البلاغة العامة، وهو يسعى إلى دمج التيارين السابقين باعتبارهما إقليمين متداخلين في منطقة واسعة كما عبر أوليفي روبول في مقال له بعنوان: "الصورة والحجة"²⁰.

وفي استقصاء لأهم الاقتراحات القديمة والحديثة التي تيسر الاطلاع عليها وفهمها، ومن البحث في طبيعة الخطاب الممتد بين البرهان والهدر، اقترح محمد العمري تعريفا يبدو جامع لكل ما اعتبر بلاغة: "البلاغة هي علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال... والخطاب الاحتمالي، كما قال ريكور، هو الخطاب الذي يمتد بين الاعتبار (أو الهدر)، في أسفل السلم، وبين الاستدلال البرهاني في أعلاه. الخطاب الذي تستوعبه الصيغة القديمة التي انشغل بها الفلاسفة المسلمون في حديثهم عن التصديق الشعري والتخييل الخطابي. فهذا المفهوم الحديث ينسجم مع التصور العربي القديم للبلاغة"²¹.

4. العلاقة القائمة بين البلاغة والحجاج والتداخل والتخارج بينهما من منظور العمري:

يؤكد صمود على الدور الفعال الذي تقوم به البلاغة والحجاجية في استرجاع الخطابة حيث أكد أنها من العوامل التي "فتحت الأبواب أمام عودة الخطابة ورجوع وظيفة الاقناع والتأثير في صيغة لم تعرفها من قبل، وأصبح الخطاب يعتمد في إنجاز تلك الوظيفة، وإحداث التأثير في صيغة لم تعرفها من قبل وأصبح الخطاب يعتمد في إنجازه تلك الوظيفة، وإحداث التأثير، أساليب متنوعة، منها ما يقوم على بلاغة الصورة، ومنها ما يقوم على قدرة الخطابة الفائقة على التأثير، لا بمنطوقه، إنما بمفهومه ومُتَصَمِّنِهِ. كما قوّت المناقشة القائمة بين المستفيدين من استهلاك الآليات المرصودة لذلك. وأصبحت هذه البلاغة قادرة، لا فقط على التأثير وتحويل القول والصورة وممارسة، على أساس الفعل ورد الفعل، وإنما أصبحت متحركة في أذواق الناس، تساعد على صياغتها و إعطائها الوجهة التي تهيئها لقبول ما يقترح عليها"²².

مازالت العلاقة بين البلاغة والحجاج ملتبسة، والحدود متحركة، تثير الاختلاف بين الباحثين حسب المواقع التي يقفون فيها، والجهات التي ينظرون منها. هل الحجاج مبحث بلاغي، أم إنه مبحث مستقل قائم الذات؟ أم أن هناك أنواعا متباينة من الحجاج: حجاج بلاغي وآخر منطقي، وآخر لساني؟²³.

لقد حاول محمد العمري جاهداً إلى نزع اللبس بين الحجاج والبلاغة، و إيجاد العلاقة القائمة وإظهار مدى التداخل والتخارج بينهما، من خلال التحديد الدقيق لمعنى الكلمتين، إذ يقول: " لا بد إذن من تحديد ما نقصده بالبلاغة وما نقصده بالحجاج في الاستعمال الحديث " ²⁴.

كما يقول: " من الطبيعي أنّ كلّ شيء رهين بالتعريف، فماذا نعني بالحجاج، وماذا نعني بالبلاغة؟ يجب أن نعطي الكلمتين معنى دقيقاً لكي نستطيع حل مشكل العلاقة بينهما، بل إن ذلك ضروري لوجود المشكل من أساسه " ²⁵.

ومن منظور العمري في تحديد العلاقة بين البلاغة والحجاج، باعتماده على آراء بعض اللسانيين والتداوليين أمثال (روث أموسي) فهذه الأخيرة تحدثت عن موقفين اثنين هما: الفصل والإدماج وتعتبر (روث أموسي) من أنصار ادماج بين (البلاغة والحجاج) حيث تقول: "وعموماً فإن المواقف فيما يخص العلاقة بين البلاغة والحجاج تمتد من المطالبة بقطيعة جذرية إلى القول بوجود توازن بين ما اعتبر مبحثين متميزين ومتكاملين إلى حد ما، وصولاً إلى اقتراح دمجها في نشاط لغوي واحد" ²⁶.

ومن ذلك اتجه في رحلة بحث عن ماهية البلاغة وتحديد المعاني المختلفة لها. وينطلق العمري في سبيل وضع تعريف شامل للبلاغة من محاولة تبيين العلاقة بين مصطلحي البلاغة والخطابية، مشيراً إلى أن ذلك يقتضي وضع الكثير من النقاط على الكثير من الحروف، وتقديم البيانات والتذكير بالأوليات التي تعتبر في نظره من المسلمات والبداهيات. " أول ذلك ترجمة كلمة ريتوريك **Rhetoric، Rhetorique** أو ريتوريكي **Rhetorike** اليونانية إلى العربية. فهناك من الباحثين العرب المحدثين من استعمل كلمة (خطابة) مقابلاً لها وهم الأقل وهناك من استعمل كلمة بلاغة وهم الأكثر، وهناك من ظل متردداً بينهما، يستعمل هذه أو تلك حسب السياق وهو الأقرب إلى معاناة المشكل، وهناك من وقف عند حدود الحيرة يورد إحداها مطلقة والثانية بين قوسين تاركاً للقارئ أن يرجح ما يراه مناسباً " ²⁷.

وهنا يعلق العمري قائلاً: " أما الذين استعملوا كلمة خطابة راعوا في ذلك المعنى الأرسطي للكلمة والسياق الخطابي الحجاجي الذي يؤطرها، ولكنهم تجاهلوا كون أرسطو لم يستعمل الكلمة مفردة بل مضافاً إليها : فن الخطابة، فمن الإضافة يتبين أن المقصود هو التقنية أو الصناعة أو الفن، وليس موضوع هذه التقنية الذي هو القول الذي يطلب التصديق (الخطابة). أما الذين استعملوا لفظ بلاغة، فقد نظروا إلى المعنى الذي تبلور للكلمة في العصر الحديث بعد أن استرجعت بُعدها الخطابي التداولي، وطورت بُعدها التخيلي الشعري، وصارت تسترجع ما أخذ منها تحت أسماء اعتبرت نفسها ورثاً شرعياً للبلاغة، مثل الأسلوبية وعلم الخطاب وسيميائيات النص الأدبي.. الخ " ²⁸.

إن كلمة بلاغة- كما هو الحال بالنسبة لكلمة ريتورية- استعملت بمعنيين: معنى إنشائي تعبيرى، حين تكون وصفاً للكلام والمتكلم: كلام بليغ ومتكلم بليغ. ومعنى وصفي علمي، حين تكون حديثاً عن الخصائص العلمية

للكلام البليغ، أي حين يكون الكلام وصفاً للكلام²⁹. وقد كان تركيز العمري على المفهوم الثاني - الوصفي - أي البلاغة باعتبارها علماً.

ثم يوجه العمري نظره إلى عصرنا هذا، ويبدو له من وجهة نظره أن للبلاغة أربعة معاني مختلفة على الأقل. إما المعنى الأول: "عند مجموعة من منظري الأدب، خاصة أولئك الذين ينتمون إلى مجموعة مي MU، فالبلاغة في نظرهم كل العناصر الأدبية في الخطاب، أي كل ما يشكل (إنزياحا). وهذا ينطبق على صور الأسلوب بوجه خاص. إن لهذا التعريف مزية تعيين العلاقة بين البلاغة والأدب على أقل تقدير. غير أنه ينطوي على اختزال كبير"³⁰.

أما المعنى الثاني: "هي مقارنة جان بليز جرايز JEAN-BLAISE GRIZE. فالعنصر البلاغي في نظره هو ما يخص الخطيب ويسعى إلى المساعدة على تلقي الشيء الذي قُدِّم. فالبلاغي متميز إذن عن الحجاجي. إنه كل ما يستعين به الخطيب لتسهيل تلقيه (أو وصوله). إنه بيداغوجيا الخطاب بالنظر إلى ذاته. يبدو هذا صائبا غير أنه يقوم على اختزال مخل. وذلك أن البيداغوجيا كيفما كانت تعمل على تغيير موضوعها ليصير ملائما. فإذا كان الخطيب بيداغوجيا بإزاء حجاجه الخاص، فإن هذا الحجاج سيتغير"³¹.

وأما الثالث فهو ما قدماه بيرلمان وتيتيكا: "فهذان الباحثان قد بسَّطا لنا الأمر لأنهما يطابقان من البداية بين البلاغة والحجاج كما يشير إلى ذلك عنوان كتابهما الضخم. إن لهذه المطابقة أهمية بالنسبة للمحتوى، ذلك أن كل ما اعتدنا اعتباره بلاغة في خطاب ما وخاصة صور الأسلوب، سيفسر باعتباره حالة خاصة من أحوال الحجاج"³².

والمعنى الرابع نجده عند فرونسيس جاك: "فحسب رأيه هناك مستويان في الخطاب: برهاني وحجاجي، بل توجد ثلاثة، الثالث هو المستوى البلاغي الذي قد يوضع، من حيث هي الصرامة والصدق، تحت المستوى الحجاجي الذي يدعوه جاك المستوى (الحواري). إن البلاغة بالنسبة إليه، كما هو الحال عند أفلاطون، تضم دائما جانبا من الرتبة العمياء، ومن المدهنة التي تجعلها موضع شك. فبماذا هي متهمة؟ إنها متهمة أولا بكونها غير عقلية، في حين يدعي الحجاج العقلانية، أو على الأقل المعقولية. ومادامت البلاغة تعمل دائما على تمرير الحجة الأكثر ضعفا وكأنها الحجة الأكثر قوة (بروطاغوراس) فلن تستطيع أبدا الخروج من الاحتمال"³³.

وبعد ما تعرض العمري إلى ماهية البلاغة الحديثة، وإظهار التقاربات، وتحديد المعاني المختلفة لها، حاول تقديم المفاهيم الكبرى للحجاج، لمعرفة ما يدخل وما يخرج منه، وراح يطرح التساؤل الآتي: هل يجب علينا أن نستنتج من أنّ على الحجاج أن يستغني عن البلاغة؟.

ومن أجل معرفة ما إذا كان يستطيع ذلك قام العمري بتحديد ملامح الحجاج بالعودة إلى تحديد مفهومه، مستلهما بحرية بيرلمان وتيتيكا. قائلا "يتميز الحجاج بخمسة ملامح رئيسية:

1) يتوجه إلى مستمع،

- (2) يعبر عنه بلغة طبيعية،
 - (3) مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية،
 - (4) لا يفتقر تقدمه (تناميه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة،
 - (5) ليست نتائجه (خلاصاته) ملزمة.
- بناء عليه يتساءل: أليست هذه الملامح التي تميز الحجاج عن البرهان هي نفسها ما يجعله بلاغيا بالضرورة³⁴.

5. خاتمة:

- وأخيراً نخلص من دراستنا هذه إلى نقاط مهمة نذكر منها:
- البلاغة العربية مبنية على أساس الازدواج بين التخيلي الشعري والخطابي التداولي.
 - حجاج يهدف إلى تغيير في سلوك المتلقي أو معتقده قصد استمالته والتأثير عليه.
 - ارتبط الحجاج منذ القديم بالخطابة إذ موضوع الحجاج هو الخطابة.
 - أسهم أرسطو بتأليف كتابه الخطابة في وضع معالم الدرس الحجاجي الغربي وذلك بواسطة تنظيره للحجاج الخطي، حيث تحدث عن بلاغة الإقناع وأسسها بدأ من مرحلة الإيجاد أي البحث عن الحجج.
 - كان النقد القائم على الموازنات بين الشعراء عاملاً مساعداً إذكاء صفوة الوعي البلاغي بمعايير الإجادة أي بلاغة الاختيارات الشعرية وبلاغة البديعيات.
 - تلاءم قراءة العمري في تتبع تطور المذاهب الفنية في الشعر.
 - اكتشفت الدراسات المعاصرة تطورات مما نتج عنها نظرية جديده تعرف بنظرية الحجاجية وكان "برلمان" "يتيكاه" من بين الذين اهتموا بها ووسعوا فيها .
 - معرفة أنساق محمد العمري الفكرية و نظمه الاصطلاحية و المفهومية.
 - بناء نظرية حديثة وعامة تستوعب ما هو تخيلي وحجاجي مما مكّنه من الإسهام في بناء نموذج بلاغي يستوعب الخطابية في سياق ما يسمى بالبلاغة العامة.
 - تطوير النظر البلاغي والمقاربة المنهجية عبر متابعة الموروث البلاغي القديم.
- جعل البلاغة علماً كلياً للخطابات التخيلية والتداولية الهادفة إلى التأثير والإقناع أو هما معا.

5- الهوامش:

¹ ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، مصر، 2016، ص: 462.

² سامية الدردوي: الحجاج في الشعر العربي بنيتة وأساليبه، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011، ص: 23.

³ جميل حدادوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص: 28.

⁴ المرجع نفسه، ص: 21.

- ⁵ عبد الله صولة: في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع تونس ط1، 2011، ص: 13.
- ⁶ حمادي صمود مع فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم كلية الآداب منوية، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس، ص: 298.
- ⁷ جميل حمداوي: من الحجاج الى البلاغة الجديدة، ص: 28.
- ⁸ محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012، ص: 70.
- ⁹ المرجع نفسه، ص: 71.
- ¹⁰ عبد الله صولة: في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات، ص: 71.
- ¹¹ جميل حمداوي: من الحجاج الى البلاغة الجديدة، ص: 29.
- ¹² عبد الله صولة: في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات، ص: 71.
- ¹³ موقع محمد العمري: <http://www.medelomari.net/entree.htm>. أطلع عليه يوم 25 جانفي 2021.
- ¹⁴ محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، ص: 64.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص: 65 وما يليها.
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص: 67.
- ¹⁷ محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة- دراسات وحوارات، إفريقيا الشرق المغرب 2013، ص: 29.
- ¹⁸ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان ط1، 2008، ص: 154.
- ¹⁹ محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة- دراسات وحوارات ، ص 30.
- ²⁰ المرجع نفسه، ص: 31.
- ²¹ المرجع نفسه، ص: 35.
- ²² محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النقد المعاصر ص: 11.
- ²³ محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة- دراسات وحوارات ، ص: 25.
- ²⁴ المرجع نفسه، ص: 26.
- ²⁵ محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ص: 213.
- ²⁶ محمد العمري : البلاغة و الحجاج أو بلاغة الحجاج مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة الكويت مع 40 ع 4، 2012 ص: 272.
- ²⁷ محمد العمري أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة- دراسات وحوارات ، ص: 26 وما تليها.
- ²⁸ المرجع نفسه، ص: 27.
- ²⁹ المرجع نفسه، ص: 28.
- ³⁰ محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ص: 214.
- ³¹ المرجع نفسه، ص: 215.
- ³² المرجع نفسه، ص: 216.
- ³³ المرجع نفسه، ص: 217.
- ³⁴ المرجع نفسه، ص: 220.

6. قائمة المراجع:

- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، مصر، 2016.
- جميل حمداوي: من الحجاج الى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014

- حمادي صمود مع فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس. 2011
 - سامية الدردوي: الحجاج في الشعر العربي بنيتة وأساليبه، علم الكتب الحديث، إريد، الأردن، 2011
 - عبد الله صولة: في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع تونس ط1، 2011
 - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان ط1، 2008.
 - محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة- دراسات وحوارات، افريقيا الشرق المغرب 2013.
 - محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، افريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012.
 - محمد العمري : البلاغة والحجاج أو بلاغة الحجاج مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة الكويت مج40 ع4، 2012.
- موقع محمد العمري: <http://www.medelomari.net/entree.htm>. أطلع عليه يوم 25 جانفي 2021.